# التّأويل عند مفسّري القرآن الكريم، الطّاهر بن عاشور أنموذجا

**Interpretation of the interpreters of the Holly Qur'an, Al-Tahir Bin Ashour as a model**

**بوزيان حمزة**

**hamzachoupot@gmail.com**

**لسانيات وتحليل الخطاب**

**قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران1 أحمد بن بلّة (الجزائر)**

تاريخ الإرسال: 2018/00/00 تاريخ القبول:2018/00/00 تاريخ النشر: 2020/05/02

**الملخص**:اهتمّت الدّراسات النصّية الحديثة والقديمة بآلية التّأويل، ولقد أولى الباحثون المؤوّل دورا مهمّا في فهم النصوص، فبعد أن نَادَت بعض الدّراسات إلى موت المؤلف؛ استرفدت على إثر ذلك بالقارئ وأَولَتْهُ دورا في إعادة بناء النص واستيضاح دلالاته من جهة، ومن جهة أخرى فهم قصدية الكاتب وشخصيته، ولن يكون هذا الأمر الذي نادت إليه الدّراسات الغربية والعربية إلّا بالتّأويل، فلكلّ متلقّي رأي ونظرة تختلف عن الآخرين في استنطاق النص.

من هذا المنطلق، نسعى من خلال هذا البحث القراءة في ماهية التّأويل من منظور العرب والغرب، باعتباره آلية من آليات التّحليل المساعدة على إدراك قصدية الكاتب، وعلى استنطاق النص واستقصاء معانيه الخفيّة، ثمّ سنحاول تقصّي هذه الآلية – التّأويل – لدى **الطّاهر بن عاشور** في تفسير "**التّحرير والتّنوير**" مع محاولة الوقوف على أوجه الاتّفاق والاختلاف بينه وبين الغربيين.

**الكلمات المفتاحية**: التّأويل، التّفسير، الفهم، الطّاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير.

***ABSTRACT*** :Both the modern and the ancient text studies gave too much importance to the mechanism of interpretation. Researchers gave a crucial role to the interpreter in understanding the text.

Some studies were for the death of the author others gave the reader the mission and the responsibility to reconstruct the text and clarify the meanings also understand the intentionality of the writer and his personality .

Infact this will never be achieved unless interpretation is present. Each receiver has his own view and opinion that is totally different from the other as far as examining the text is concerned.

So this project aime at dealing with the meaning of interpretation from both the Arabs and the West view since it stands for a mechanism of analys is that helps to achieve the writer's interpretation also at investigating the text and understanding its hidden meanings .We will try to deal with the mechanism of interpretation according to **El tahar Benachor** in his analysis« **el tahrir and el tanwir »**. We will also try to shed light on points of similarities and differences between him and the western writers.

***Keywords:***The Interpretation;The Explanation ;The Conception ; Tahar Benachour ; El Tahrir wa El Tanwir.

لَمَّا كان التّأويل عنصرا فعّالا يسهم في الكشف عن المعاني الغامضة للكتّاب؛ باعتبار أنّ المتلقّي هو من يقوم بهذا العمل، حظي – التّأويل – بعناية الكثير من الدّراسات النقدية الحديثة والقديمة الّتي تهتم بالنص؛ والّتي ترى أنّ النص يحمل معاني متعدّدة بحسب عدد القرّاء، ومن ضمن هذه الدّراسات نذكر اللّسانيات العالمية النصية، هذه الأخيرة الّتي أدرجت التّأويل ضمن آليات الانسجام كونه يبحث عن قصدية الكاتب.

## 1– مفهوم التّأويل:

قبل التطرّق إلى التّأويل كمرتكز من مرتكزات فهم النص وانسجامه، يلزمنا بدءً كما تستدعيه الدّراسات الحديثة تقصّي مفهوم هذا المرتكز النصّي في معاجم اللّغة؛ باعتبار هذه المعاجم تعدّ البؤرة الرّئيسة التي نلج من خلالها إلى فهم حقيقة المصطلحات، ثمّ نولّي وجوهنا شطر الدّلالة الاصطلاحية حتّى نستقصي اتّساعها واستخداماتها عبر التاريخ بغية البلوغ إلى أصولها الأولى، ثمّ إدراك دوافع الركون إليها كآلية للاستيعاب والتّفسير.

### أ/ المعنى اللّغوي:

إنّ المتتبّع للمعنى اللّغوي لمصطلح التّأويل يجد أنّ هذه الكلمة مشتقّة من مادّة ( **أ – و – ل** )، ولقد وردت في لسان العرب على النّحو التّالي:"الأَوْلُ: الرّجوع، وآل الشّيء يؤول أولاً: رجع وأوَّل إليه الشّيء:رجّعه، وأُلْتُ عن الشّيء: ارتدَدْتُ.

وأَوَّلَ الكلام وتأوّله: تدبّره وقدّره.

ويقال: طبخت النبيذ حتّى آل إلى الثلث أو الربع إذا رجع"[1].

في حين لو رجعنا إلى معجم مقاييس اللّغة حول هذه اللّفظة لوجدناه يقول:"تأويل الكلام:عاقبته وما يؤول إليه.

أوّل الحكم أرجعه إلى أهله وردّه إليهم..... وآل جسم الرجل إذا نحف ورجع إلى تلك الحالة"[2].

إذن يتّضح للمتأمّل في كلا المعجمين أنّ كلمة التّأويل وإن تعدّدت معانيها؛ فلن تبتعد عن معنى الردّ والرجوع إلى الشيء، وبذلك يكون التّأويل في الكلام ردّ معانيه وإرجاعها إلى أصلها الذي تُحمل عليه ويجب أن تنتهي إليه.

### ب/المعنى الاصطلاحي:

يعدّ الأصوليون ومفسّرو القرآن الكريم أكثر من اهتمّ بماهية التّأويل، وذلك لما له من اتّصال بكتاب البارئ، ولقد عرّفه **الغزالي** ( **ت 505 هـ** ) بأنّه:"عبارة عن احتمال يعضده دليلٌ، يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدلّ عليه الظاهر، ويشبه أن يكون كلّ تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة"[3].

بيد لو تقدّمنا قليلا فإنّنا سنجد **الزّركشي** ( **ت 794 هـ**) يرى أنّ:" التّأويل كشف ما انغلق من المعنى ولهذا قيل إنّه يتعلّق بالدراية، ويعني أيضا صرف الآية إلى معنى يوافق لما قبلها وبعدها، وتحتمله الآية، غير مخالف الكتاب والسنة عن طريق الاستنباط"[4].

فيتّضح لنا ممّا ذكرَه العالمان أنّ التّأويل عند الأصوليين هو عملية يجري فيها نقل اللّفظ من معناه الصّريح إلى معنى راجح، لكن هذا لا يكون إلّا بدليل يخرجه من المعنى الأوّل الصّريح إلى المعاني الباطنة الخفيّة، أضف إلى ذلك أنّ المعنى المصروف إليه ليس يقينا، وإنّما هو مؤسّس على التّخمين والظّن.

ونستشفّ ممّا سبق ذكره، أنّ التّأويل هو إظهار المطلوب عن طريق الظن، أو استيضاح اللّبس في نص أو خطاب معين، أو إحالة دلالته من لغة إلى لغة أخرى، أو إضفاء معنى معين ومعيّن عليه بغية الإحاطة به وفهمه.

فالتّأويل إذن مقترن بعملية الفهم والإدراك، إلّا أنّ الفهم يكون لظروف إنتاج النص وملابساته، وكذلك للتراكيب المعجمية، وبعده يمكن إنتاج تأويلات مختلفة ومتعدّدة المعنى، وهذا ما يوضّح أنّ الفهم إجرائية تسبق عملية صياغة المعنى وإنتاجه.

**2- نشأة التّأويل كنظرية:**

لقد ظهرت نظرية التّأويل عند الغربيين تحت مسمّى الهيرمينوطيقا، ويُعزي ذلك في منتصف القرن السّابع عشر ، وبالتحديد سنة 1654 م[5].

أمّا التّجربة التّأويلية في حدّ ذاتها فإنّها تعود إلى أبعد من ذلك، ولقد تباين المؤرّخون حول أصولها، فمنهم من ينسبها إلى الجهود التي بذلها الأثينيون في العصر الكلاسيكي من أجل استخراج معنى الملامح الهوميرية التي أصبحت لغتها تمتنع عن الفهم المباشر[6].

ومنهم من ينسبها إلى عشرات القرون حيث بدأت في الإسكندرية، ثمّ استرجعت في عصر النهضة والإصلاح لتزدهر بعد ذلك في عصر الأنوار وعصر الرومانسية.

والحقيقة أنّها نظرية ذات أصول دينية محضة، وقد أَمْلَتْها الحاجة إلى تأويل الكتاب المقدّس (الإنجيل) الذي لم يعُد فهمه المباشر ممكنا، ولذلك يُربط الانتشار الواسع الذي عرفته الهيرمينوطيقا بازدهار البروتيسانية في عصر النهضة[7].

ومهما يكن التّباين حول الأسباب التي أفضت إلى ظهور هذه الآلية، فإنّ مرجعها واحد هو نشأة الكتب المقدّسة التي تعدّ السّبب الرئيس في نشأة علم التأويل، وما يعضد هذا الرّأي أكثر قول **دافيد جاسبر** في كتابه لمقدّمة في الهيرمينوطيقا إذ يقول:"...تاريخ ونظرية الهيرمينوطوقا في الغرب تبلورت في سياق الدّراسات الإنجيلية، وفي مجال الدّراسات الدّينية الأكاديمية..."[8].

**3- الفهم والتأويل:**

تعدّ مرحلة الفهم شطرا مهمّا في العملية التّأويلية، وذاك أن كلّ متلقّي يسعى معتمدا إلى هذه العملية التي تتجسّد بتفعيله لِجانبَيْ النصّ، اللّغوي والنّفسي، فالقارئ المؤوّل لا يستغني إلى فهم الجانب اللّغوي والنّفسي لتحقيق معنى النصّ؛ وذلك حتّى يتمكّن من خوض مغامراته في اكتشاف معنى النصّ واستنطاقه.

لكن نلفي **هايدغر** ينظر إلى الفهم بصفته مكوّنا لكينونته الكائن، وكيفيةً أساسا لوجوده ولمقاربته للعالم ولذاته[9].

وتتمثّل أهمّية الفهم بالدرجة الأولى في معاودة إقامة الدّلالة القصدية للنصّ، لأنّ هذا الأخير – النص- لا يشير على أيّ مدلول وإنّما يعود على نفسه، وبالتّالي فإنّ نتيجة الفهم سوف تكون دائما مضاعفةَ النصّ بنصٍّ آخر.

أضف إلى ذلك، أنّ الفهم إجرائية تتصف عَمَلِيَتين مهمّتين هما التّفسير والتّأويل، فهو حاصل عن التّفسير ويُفضي إلى التّأويل في نفسه.

ومن هنا يلفت **دانيال شلايماخر** (**Daneil Ernst**) النظر في **نظريته التّأويلية** إلى فكرة جوهرية مُتعلّقة بتأويل النّصوص، ألَا وهي **الفهم الصّحيح** و **الفهم السيّئ**، حيث يرى أنّه من الضروري أن يقوم علم يضبط علاقتنا بالنّصوص ويعصمنا من سوء الفهم[10].

وهو يرى أنّ الفهم عملية إبداعية ترتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الدّاخلية والخارجية للمبدع، ومن تمَّ فإنّ النّص بصفته عملية إبداعية أيضا لن يكون إلا تجلّيا لهذه الحياة، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ المهمّ في العملية التّأويلية ليس تفسير المقاطع النّصية فحسب، بل وإدراك النّص في منبعه وأصله، وفي بزوغه من الحياة الفردية لمؤلّفه[11].

وفي هذا القول إيحاء جليّ على ضرورة التّرسيخ والاهتمام بسريرة الكاتب ووجدانه وأفكاره والأسباب المفضية به إلى إبداعه وإنتاجه للنصّ.

### 4- بين التّأويل والتّفسير:

يكاد لا يتّفق تباين الباحثين قديما وحديثا حول مفهومي التّفسير والتّأويل، فنُلفي منهم من فَرَّقَ بينهما، كما نُلفي من جعلهما سواءً...[12].

لكن حتّى يتّضح هذا اللّبس ويعرف المتلقّي الفروق الجوهرية بينهما ينبغي العودة إلى مفهوم كليهما، والمتأمّل للتّعريف اللّغوي – الذي لابدّ منه – لكلا المفهومين فإنّه سينجلي له بوضوح وجود فرقا بينهما، إذ إنّ التّأويل يعني الإرجاع والردّ إلى الأصل – كما ذكرنا ذلك سالفا- فيما يعني التّفسير الكشف والبيان[13]، وبهذا يكون معنى تفسير النّصوص هو الكشف عن الغموض والإبهام الذي يعتريها ويكتنفها.

أمّا لو ولّينا وجوهنا شطر النّاحية الاصطلاحية، فقد أورد **الزّركشي** ( **ت 794 هـ**) في محاولته للتّفريق بينهما، برأيه أنّ التّفسير يتعلّق بالرواية، فيما يتعلّق التّأويل بالدّراية.

ونجد **الزّرقاني** ( **ت 1367 هـ**) يورد في كتابه **مناهل العرفان في علوم القرآن** تفصيلا أدقّ لهذين المفهومين، وفي هذا الشّأن يقول:"**وبعضهم يرى أنّ التّفسير مبانٍ للتّأويل، فالتّفسير هو القطع بأنّ مراد الله كذا، والتّأويل هو ترجيح أحد المحتملات دون قطع...**"[14].

والملاحظ حول هذه التّعاريف – في معظمها- هو تعلّقها بالدّراسات الدّينية، وتحديدا بصرح القرآن الكريم، وهذا أمر بديهي؛ ذلك أنّ التّأويل كممارسة فعلية مع النّصوص نشأ في أحضان الدّراسات الدّينية، وازدهر في كَنَفِها، خاصّة مع ظهور فرق الكلام الّتي كانت تخوض في المحكم والمتشابه والمبهم من القرآن الكريم، وقد كان تأثّرهم في ذلك بالفلاسفة والمناطقة اليونانيين كثيرا[15].

هذا فيما يخصّ الفرق بين التّأويل والتّفسير عند الأصوليين وعلماء الكلام، أمّا لو تحدّثنا عن المفكّرين والمحدثين، فإنّنا نجد مثلا **دلتاي** (**Diltey**) قد ميّز بين هذين المفهومين تمييزا كاملا، حيث يناقض كلّ طرف عنده منهما الآخَرَ، ويستبعده كلّيا، فالتّفسير – في نظره- هو المنهج العلمي الذي تتميّز به المدارس والعلوم الوضعية، في حين يشكّل التّأويل المنهج العلمي لحقل الفكر والعلوم الإنسانية[16].

إذن يمكننا أن نستشفّ ممّا سبق، أنّه لا غِنى للتّفسير عن التّأويل والعكس أيضا، كما أنّ كلّا منهما يكمّل الآخر، فيمكن القول أنّ التّفسير يعدّ المرحلة الأولى من عملية التّأويل، وهو يتمّ على المستوى اللّغوي المعجمي، والتّركيبي للنّصوص، وذلك بدراسة علاقاتها الدّاخلية وتحديد بنياتها الخاصّة، ثمّ تأتي بعد ذلك مرحلة التّأويل، وفيها يعطي البعد الدّلالي للعلاقات والبنيات، وبذلك يجد التّفسير تتمّته في التّأويل، ويجد التّأويل أساسه ومرتكزه في التّفسير[17].

أضف إلى ذلك، أنّ التّأويل يعتبر وسيلة وآلية من آليات التّحليل المعِينَة على فهم النص وصبر أغواره واستقصاء معانيه الخفيّة، وهو ليس وقفا على علم من العلوم أو طائفة من الطوائف، بل هو مرتكز من المرتكزات المتاحة لجميع الدّارسين من فلاسفة وأصوليين ونحويين...[18].

والذي يهمّنا في هذا البحث هو التّأويل عند الأصوليين، باعتباره على صلة وثيقة وعلى قدر عظيم من الشّبه بما تناوله اللّغويون وعلماء النحو من جهة، وباعتبار صاحب "التّحرير والتّنوير" أصوليا وكتابه يتناول قضايا أصولية من جهة أخرى.

ولذلك سنبتغي في هذا الجانب من البحث استقصاء مرتكز التّأويل عند **الطّاهر بن عاشور** في تفسيره سواء تنظيرا أو تطبيقا، والكشف عن استعمالاته ودوره في استنباط الأحكام عنده، هذا ولا يخفى علينا دوره في ربط وانسجام القرآن الكريم ممّا يجعله يبدو كوحدة لغوية منسجمة.

### 5-التّأويل لدى الطّاهر بن عاشور:

حظي مصطلح التّأويل باهتمام **الطّاهر بن عاشور** في تفسيره "التّحرير والتّنوير"، ولقد أعطى لهذه الكلمة كلّ معانيها المتوقّعة سواء لغويا أو اصطلاحيا، فيقول مثلا أنّ هذه الكلمة:"**مشتقة من آل إذا رجع إلى الشّيء إلى حقيقته**"[19]، وهذا الذي أشار إليه اللّغويون في تعريفهم لمصطلح **التّأويل**، أي أنّ كلمة **التّأويل** تحمل معنى الردّ والرجوع إلى الشّيء.

أمّا اصطلاحا فيُعتبر **ابن عاشور** من المفسّرين الذين نادَوا بالتّرادف بين التّفسير والتّأويل إلّا في بعض المفارقات؛ إذ يقول في هذا الجانب:"**التّأويل مصدر أوّله إذا أرجعه إلى الغاية المقصودة من اللّفظ التي هي معناه، فساوى بذلك التّفسير ...على أنّه لا يطلق إلّا على ما فيه تفصيل معنى خفيّ معقول...**"[20].

إذن يتّضح من خلال هذه المقولة، أنّ التّباين الوحيد بين التّأويل والتّفسير يظهر في أنّ التأويل له علاقة وطيدة بالمعنى المضمر من الكلام، على غرار التّفسير الذي له وطيدة بظاهره، ولهذا نُلفي **ابن عاشور** يستخدم مصطلح التّأويل مرّة ومصطلح التّفسير مرّة أخرى مع الإسراف والإكثار منها.

ويعرّج **ابن عاشور** بعد ذكر تعريف لكلّ منهما وتوضيح التّباين بينهما، إلى ذكر شروط لابدّ من توفّرها في المفسّر أو المؤوّل، أهمّها أن يكون محيطا بعلوم اللّغة كعلم المعاني وعلم البيان، وبأوجه العربية جميعها، وإلّا فسيكون فاسد الرأي والحكم ، وفي هذا الصّدد يقول نقلا عن السّكاكي:":"**لا أعلم في باب التّفسير بعد علم الأصول أَقرَأَ على المرء**

**لِمراد الله من كلامه من عِلْمَي المعاني والبيان، ولا أَعون على تعاطي تأويل متشابهاته، ولا أنفع في درك أسراره..."**[21].

ولا يبتعد **الطّاهر بن عاشور** في منهج التّفسير والتّأويل التي يتبعها عمّا سَنَّه مَن قبله مِنَ المفسّرين، إذ يقول في هذا الشّأن:"**فطرائق المفسّرين للقرآن ثلاث:إمّا الاقتصار على الظّاهر من المعنى الأصلي مع بيانه وإيضاحه...وإمّا استنباط معانٍ من وراء الظّاهر تقتضيها دلالة اللّفظ أو المقام...وإمّا أن يجلب المسائل ويبسّطها لمناسبة بينها وبين المعنى...**"[22].

ويبني **الطّاهر بن عاشور** آراءه تبعا لهذه المناهج الثّلاث ، وممّا يوضّح كلامه أكثر اعتماده الطريقة الثالثة – التي تتحدّث عن المسائل العلمية المناسبة لمقاصد الآيات إمّا بالإيماء وإمّا بالتّلويح- في تفسير قوله تعالى:"**كي لا يكون دُولَةً بين الأغنياء منكم**" (الحشر، الآية:07)، إذ إنّه يرى أنّه يمكننا أن نقتبس من هذه الآية تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتقسيم الثروة العامّة، ويُوضّح لذلك بمشروعية الزّكاة والمواريث والمعاملات المركّبة من رأس المال والعمل على أنّ ذلك تومئ إليه الآية الكريمة[23].

ويقف صاحب "**التّحرير والتّنوير**" في تفسيره عند مطلب جلل لا ينبغي تجاهله في تفسير القرآن الكريم، ألا وهي مسألة الوقف في الآيات وما ينجرّ عليها من اتّساع في المعنى أو تغيّره أو إنتاج لمعانٍ جديدة، أو إتمام لمعانٍ أخرى، من ذلك قوله تعالى:"**وكأيّن مِن نَبِيّ قُتِل مَعَهُ رِبّيُونَ كَثِير**" (آل عمران، الآية:146)، حيث يقول في هذا الشّأن:"فإذا وُقِفَ عند كلمة **قتل** كان المعنى أنّ أنبياء كثيرين قتلهم قومهم وأعداؤهم، ومع الأنبياء أصحابهم، فما تزلزلوا لقتل أنبيائهم، فكان المقصود تأييس المشركين من وهن المسلمين على فرض قتل النّبي صلى الله عليه وسلّم في إحدى الغزوات، وإذا وصل قوله **قتل** عند قوله **كثير** كان المعنى أنّ أنبياء كثيرين قُتل معهم رجال من أهل التّقوى فما وَهَنَ من بقي بعدهم من المؤمنين"[24].

والذي نستشفّه من هذا القول، مدى أهمّية الوقف في تجلية دلالة الآية القرآنية، وتوضيح المعنى حتّى لا يقع المفسّر والمؤوّل في لبس.

وما يعضد الرّأي أكثر، تأويله لقوله تعالى:"**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ آمنّا بِهِ...**" (آل عمران، الآية:07)، فقد تحدّث **ابن عاشور** عن قضيّة الوقف ووضّح أهمّيته في استيضاحه معنى هذه الآية الكريمة، إذ يقول:"فإذا وقف عند قوله تعالى **إِلّا اللهُ** كان المعنى أنّ متشابه الكلام الذي لا يصل إلى فهم النّاس إلى تأويله، وأنّ علمه ممّا اختصّ الله به مثل اختصاصه بعلم السّاعة وسائر الأمور الخمسة وكان ما بعده ابتداء كلام يفيد أنّ الرّاسخين في العلم يُفوّضون فهمه إلى الله تعالى، وإذا وُصِلَ قوله تعالى **إلا الله** بما بعده كان المعنى أنّ الرّاسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه في حال أنّهم يقولون آمنّا به"[25].

يتّضح من هذا القول، أنّ **ابن عاشور** يُعطي لقضيّة الوقف اهتماما كبيرا لكونه عاملا مهمّا في تحديد المعنى وتأوّله، وهو في إيراد تفسيراته المختلفة لا يتجاوز هذه المسألة.

وفي سياق خطابه عن البسملة كونها هل تعدّ آية ضرورية في كلّ سورة من سور القرآن الكريم أم لا، نجده يقدّم قبل ذلك تفسيرها بقوله التّالي:"واعلم أنّ متعلّق المجرور في بسم الله محذوف تقديره هنا اقرأ، سبب حذفه أنّ البسملة سُنَّت عند ابتداء الأعمال الصّالحة، فحذف منها المتعلّق إيجازا..."[26].

فقد أوّل المحذوف من قوله بسم الله بفعل هو **اقرأ**، وقدّر الاهتداء إلى حذفه على سنن العرب الذين يعتمدون على الإيجاز في الكلام بدل الإطناب، وشيوع البسملة بين النّاس عند قضاء الحوائج ومباشرتها. ولقد اهتم الشّيخ **الطّاهر بن عاشور** بذلك، لِما له من ميزة في تحقيق التّرابط بين كتاب الله عزّ وجل والقارئ؛ إذ جعلت هذا الأخير يُساهم في تأويل الآيات المبهمة، أضِف إلى ذلك ما لها من فضل في عرض الآيات القرآنية من دون تكرار كلمات بعينها.

بيد لو تحدّثنا عن توضيحه لمحلّ كلمة **غير** في قوله تعالى **غَيرِ المَغْضُوبِ عَلَيهِم** فإنّه تأوّلها على أنّها صفة لليهود، إذ لَمَّا كان من أُنعم عليه لا يعاقب كان المعاقَب هو المغضوب عليه[27]، وذلك بغرض التعوّد ممّا جرى لأمم فضّلهم الله وأمدّهم بالنّصح والرّشد والسّداد؛ لكنّهم لم يصونوا عليه وما حرَسوا ذلك.

ثمّ نلفي **ابن عاشور** يؤوّل مرادفه من قوله تعالى:**"المَغضُوبِ عَليهِم وَلَا الضّالِينَ"** على أنّهما جِنسا فرق الكفر، "فالمغضوب عليه جنس للفرق الّتي تعمّدت ذلك واستخفّت بالديانة عن عَمَد وعن تأويل بعيدٍ جدّا تحمل عليه غلبة الهوى... والضّالون جنس للفرق الذين حرّفوا الديانات الحق عن عمدٍ وسوء فهم، وكلا الفريقين مذموم معاقب[28].

فالمتتبّع لهذا التّفسير، يتّضح له أنّ صاحب "التّحرير والتّنوير" قد أوّل معنى تلك اللّفظتين تأويلا عامّا، ثمّ خصّ كلّ لفظة بفريق من فِرق الضلالة، وفي ذلك يقول:" فاليهود مثلا للفريق الأوّل والنّصارى من جملة الفريق الثاني..."[29].

أمّا لو عرّجنا إلى قوله تعالى من سورة البقرة:**"سواء عليهم أأنذرتهم"** فإنّه يعتبر كلمة سواء مبتدأ خبره محذوف يتأوّله بما يدلّ عليه الاستفهام، وتقديره جواب هذا الاستفهام، فسواء في الآية مبتدأ ثان والجملة خبر للذين كفروا[30].

فنلفي أنّ **ابن عاشور** يسترفد بالتّأويل النّحوي حتّى يفسّر هذه الآية ويؤوّلها، ذلك لِما له من بالغ الأثر في توضيح أوجه المعنى المحتملة والمرجوحة في الكلام.

بَيْدَ لو تقدّمنا قليلا مع تفسيره لآيات سورة البقرة، فإنّنا نجده يؤوّل قوله تعالى:**"الله يستهزئ بهم"** فقد اتّجه في تفسيره لقوله **يستهزئ** " أن يفعل بهم في الدّنيا ما يسمّى بالاستهزاء، ولم يقع استهزاء حقيقي في الدّنيا، فهو إمّا تمثيل لمعاملة الله إيّاهم في مقابلة استهزائهم بالمؤمنين..."[31]، أي إنّ البارئ يعرض عنهم ويدعهم في وهمهم الذي يعتقدونه أنّه صحيح، أي في كونهم أنّهم سالمون من الحساب والمؤاخذة إلى أن ينزل بهم عذاب الله عزّ وجلّ.

بعد استقصاء آلية التّأويل لدى **الطّاهر بن عاشور**، توَصّلنا إلى بعض آرائه حول معاني بعض الآيات من خلال تفسيرها وتأويلها؛ إذ يتعذّر الإلمام بأقواله وآرائه كلّها في هذا الكتاب، ولعلّ من ضمن النتائج الهامّة المتوصّل إليها حول هذا الأمر ما يلي:

- دراسة **الطّاهر بن عاشور** في تفسيره "التّحرير والتّنوير" كانت تجنح إلى كَنَفِ الأصوليين أكثر منها إلى جهة اللّغويين، ومع ذلك لم يغفل الجانب اللّغوي النّحوي في هذا الشّأن.

- كان يهتدي إلى الرّأي المتلفّظ بوجود تآزف بين مصطلحي التّأويل والتّفسير من الناحية الإجرائية لا من النّاحية التعريفية، من هذا المنطلق نُلفي أنّه يستعمل مصطلح التّفسير مرةّ ومصطلح التّأويل مرّة، ومرّة يذكر المعنى ويستنبطه دون الإشارة إليهما.
- يَشترط على المفسّر والمؤوّل الإلمام بعِلْمَي البيان والمعاني لدورهما في الكشف عن المعنى.
- يبني معظم آرائه في استنباط المعاني على مهنج المفسّرين الذين سبقوه.
- ولم يهمل دور أحكام التلاوة في القرآن الكريم في تحديد معاني الآيات والتّأثير في تغييرها، من ذلك مسألة الوقف ودورها في تحديد المعنى وتغييره.

**الهوامش:**

[1]- ينظر اللسان، لابن منظور (ت 711 هـ )، دار صادر، بيروت(ط3)،1994 /مادة أول.

[2]- مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق:هارون عبد السلام، دار الفكر، ط 1979، ص 98.

[3]- المستصفى من علم الأصول، الغزال أبو حامد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1997/1، ص49/2.

[4]- **البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين، تح محمد أبي الفضل إبراهيم، بيروت، ط 1988، ص148/2.**

[5]- إشكاليات القراءة وآليات التأويل، حامد نصر أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1994/3، ص13.

[6]- ينظر من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، شرفي عبد الكريم، منشورات الاختلاف، ط2007/1، ص180.

[7]- المرجع نفسه، ص 21.

[8]- ينظر مقدّمة في الهيرمينوطيقا، دايفيد جاسبر، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، ط2007/01، ص 180.

[9]- من فلسفات التأويل، شرفي عبد الكريم، ص19.

[10]- ينظر فعالية القراءة، جهلان محمّد، دار صفحات النشر والدّراسات، ط2008/01، ص 170.

[11]- ينظر من فلسفات التأويل، ص 26.

[12]- ينظر فعالية للقراءة، جهلان محمّد، ص 199.

[13]- لسان العرب، لابن منظور، مادّة ( فسر)، ص 55.

[14]- مناهل العرفان في علم القرآن، الزّرقاني محمد عبد العظيم، تحقيق مكتب البحوث والدّراسات، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1996/01، ص06.

[15]- ينظر الملل والنّحل، الشّهرستاني أبو الفتح، تعليق محمد أحمد الفهيمي، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت-ط1، ص24.

[16]- ينظر من فلسفات التّأويل، شرفي عبد الكريم، ص 18.

[17]- ينظر النّص والتّأويل، بول ريكور، تر منصف عبد الحق، مجلّة العرب والفكر العالمي، ص1988/3.

[18]- ينظر أثر التأويل اللّغوي في فهم النص، غازي طليمات، مجلّة كلّية الدراسات الإسلامية، العدد الخامس عشر، 1998.

[19]- المرجع نفسه، ص 173/12.

[20]- ينظر تفسير التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، الدار التونسية للنّشر، تونس، 1984، ص 16/1.

[21]- المرجع نفسه، ص 20/1.

[22]- المرجع نفسه، ص42/1.

[23]- ينظر المرجع نفسه، التّحرير والتّنوير للطّاهر بن عاشور، ص 43/1.

[24]- المرجع نفسه، ص 82/1.

[25]- المرجع نفسه، ص 82/1.

[26]- المرجع نفسه، ص 146/1.

[27]- المرجع نفسه، ص195/1.

[28]– المرجع نفسه، ص 199/1.

[29] – المرجع نفسه، ص 199/1.

[30]– ينظر المرجع نفسه، ص 251/1.

[31]– ينظر المرجع نفسه، ص 294/1.